

الإبادة الجماعية في فلسطين.. دراسة في جغرافية الجريمة

بحث مقدم إلى

ندوة جغرافية الجريمة

قسم الجغرافيا - كلية الآداب

جامعة المنيا

١٠ مارس ٢٠١٤م

الأستاذ الدكتور

عبد العظيم أحمد عبد العظيم

أستاذ الجغرافيا البشرية

قسم الجغرافيا.. كلية الآداب

جامعة دمنهور

## مقدمة:

تعد جريمة الإبادة الجماعية جنائية خطيرة Infamous Crime تهز الأمن والسلم الدوليين، ولا تنحصر أثارها على إقليم الدولة فقط و إنما تمتد أثارها إلى المجتمع الدولي أيضا وتطبق عقوبتها باسم الجماعة الدولية، ويعود التطور التاريخي لهذه الجريمة إلى العصر البابلي وجرى ارتكابها أثناء الحرب العالمية الأولى حين استعمل الألمان الغازات السامة في فرنسا وكذلك في أثناء الحرب العالمية الثانية منذ عام ١٩٣٩-١٩٤٥ وما بعدها ضد الشعب الفلسطيني والشعب الجزائري، وفي البوسنة والهرسك وبورندي وغيرها.

## أهمية الدراسة:

الإبادة الجماعية هي أهم الجرائم التي ترتكب ضد الإنسانية، ففي هذه الجريمة تتجسد فكرة الجريمة ضد الإنسانية بأجلى معانيها، ومثال ذلك ما حدث في فلسطين خلال القرن العشرين، حيث يقدم القتلة من اليهود على إبادة العرب ( إبادة كلية أو جزئية ) وقهرهم بلا ذنب اقتترفوه سوى أنهم ينتسبون إلى جماعة قومية أو جنس أو دين يخالف قوميتهم وجنسهم ودينهم.

## أهداف الدراسة:

- تهدف الدراسة إلى ما يلي:
- . بيان مفهوم جريمة الإبادة الجماعية وأنواعها، وموقف القانون الدولي منها.
  - . معرفة التنظيمات المنفذة للإبادة الجماعية في فلسطين.
  - . تتبع جرائم الإبادة قبل قيام الدولة الصهيونية، وبعدها.

## منهجية الدراسة:

تتبع الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، حيث تحليل البيانات والتعرف على مدلولات الأرقام وإبراز أثار تلك المعاناة الإنسانية.

## الدراسات السابقة:

من أهم الدراسات التي عرضت لمشكلة المخدرات من حيث الأبعاد المكانية والاقتصادية والاجتماعية؛ ما يلي:

. اهتم توتن **Totten** وزملاؤه (٢٠٠٤) بدراسة "الإبادة الجماعية" على مستوى العالم خلال القرن العشرين، وتناولوا خلالها الأبعاد الدينية والقومية للإبادة الجماعية للعرب على يد اليهود في فلسطين المحتلة<sup>١</sup>.

- قدم محمد رفعت الإمام (٢٠٠٧) دراسة عن "إبادة الجنس البشري" تناول فيها دراسة تاريخية وثائقية لصدور اتفاقية الإبادة التي أقرتها الأمم المتحدة، فعرض لإرهاصات الاتفاقية، وصياغتها، ثم تحليل ما ورد بها، مردفاً ذلك بالملاحق<sup>٢</sup>.

- أوضح فرانك شوك وكورت جوناسون **Frank Chalk And Kurt Jonasshn** (١٩٩٠)<sup>٣</sup> الآثار الاجتماعية والديموجرافية والنفسية للإبادة بصفة عامة، وعلى فلسطين بصفة خاصة، وكيف أثرت في التركيب السكاني والعربي للعرب.

وتنقسم الدراسة إلى ثلاثة مباحث كما يلي:

#### أولاً- مفهوم جريمة الإبادة الجماعية:

تهدف جريمة الإبادة الجماعية **genocide** إلى قتل مجموعة بشرية بوسائل مختلفة، وتعد من الأعمال الخطيرة التي تهدد أمن وسلامة المجتمع، لأنها تؤدي إلى إبادة جماعات إنسانية كلياً أو جزئياً بسبب طبيعتهم الوطنية، أو العرقية، أو الدينية... الخ. وهي ترتكب بصورة عمدية. وربما تكون هذه الجرائم سبباً للحروب خصوصاً إذا جاءت هذه الانتهاكات ضمن ممارسات إرهاب الدولة.

و(**genocide**) تسمية أصلها يوناني (**genos**) وتعنى الجنس، و(**cide**) تعنى القتل، وباللغة العربية تسمى الإبادة الجماعية، أو إبادة الأجناس.

وجرائم الإبادة الجماعية معروفة على مدار التاريخ، ومنها مذابح الإمبراطورية الرومانية (قرطاج) وأورشليم (القدس)، ومذابح جنكيز خان وأبنائه، وفي كل من كندا، واليابان، والعراق، والسودان، ورواندا وغيرها<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> **Totten, S., Parsons, W., Charny, I., "Editors": Century Of Genocide, Second Edition, Rutledge, New York, London, ٢٠٠٤.**

<sup>٢</sup> - محمد رفعت الإمام: إبادة الجنس البشري.. دراسة وثائقية في الأعمال التحضيرية لاتفاقية الإبادة ١٩٤٦-١٩٤٨، بدون دار نشر، القاهرة، ٢٠٠٧.

<sup>٣</sup> **Frank Chalk And Kurt Jonasshn: The History And Sociology Of Genocide. New Haven, Ct: Yale University Press, ١٩٩٠.**

<sup>٤</sup> سمعان بطرس فرج الله: الجرائم ضد الإنسانية وإبادة الجنس وجرائم الحرب وتطور مفهومها، ص ١١

والإبادة الجماعية جريمة بمقتضى القانون الدولي، سواء ارتكبت في وقت السلم أو أثناء الحرب، وقد أوضح النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية المقصود بجرائم الإبادة الجماعية بأنها: أى فعل من الأفعال التالية، يرتكب بقصد إهلاك جماعة: قومية، أو إثنية، أو عرقية، أو دينية\_ بصفتها تلك\_ إهلاكا كلياً، أو جزئياً:

أ- قتل أفراد الجماعة.

ب- إلحاق ضرر جسدي، أو عقلي جسيم بأفراد الجماعة.

ج- إخضاع الجماعة عمداً لأحوال معيشية؛ يقصد بها إهلاكها الفعلي، كلياً، أو جزئياً.

د- فرض تدابير؛ تستهدف منع الإنجاب داخل الجماعة.

هـ- نقل أطفال الجماعة عنوة إلى جماعة أخرى.

ويقصد بعبارة ( كلى، أو جزئي) تعمد مرتكبي الجريمة تدمير جماعة تدميراً كلياً، أو جزئياً، مثل قتل أعضائها المتعلمين، أو أعضاء يعيشون في منطقة واحدة)، ويعتبر الجاني مرتكباً لها حتى لو قام بقتل شخص واحد من الجماعة، حيث لا يوجد معيار محدد لعدد الضحايا لثبوت الجريمة، لأن المهم هو إرادة الجاني، وهى إهلاك أكبر عدد من تلك الجماعة. لهذا فإن عدد الضحايا يعتبر قرينة على نية الإبادة<sup>١</sup>.

وتتمثل الإبادة الجماعية في الأنواع التالية<sup>٢</sup>:

١- الإبادة الجسدية: تتمثل في قتل الجماعات بالغازات السامة أو الإعدام أو دفن الأحياء والقصف بالطائرات أو الصواريخ وغيرها من الأسلحة.

٢- الإبادة البيولوجية: تتمثل في تعقيم الرجال، وإجهاض النساء بوسائل مختلفة، والتدخل في تغيير الخلفة الإنسانية لأهداف سياسية ودينية للقضاء على العنصر البشرى، لاسيما بالتحريض على الإجهاض، والعقم، وفصل البالغين عن سن الإنجاب ومنع الزواج، ومثال ذلك: ما قامت به القوات الصربية في (البوسنة والهرسك) بخصي الرجال المسلمين؛ لمنع الإنجاب.

٣- الإبادة الثقافية: تتمثل في عدم التحدث باللغة الوطنية، والاعتداء على الثقافة القومية<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> حسن الجوني: جريمة إبادة الأجناس في ضوء المحكمة الجنائية الدولية، ص ١٨

<sup>٢</sup> محمد ماهر عبد الواحد: جريمة الإبادة، ص ٢٣

<sup>٣</sup> عبد العظيم أحمد عبد العظيم: التخطيط اللغوي لتأصيل الهوية العبرية في فلسطين، ص ٢٦

٤\_ الإبادة المعنوية: وتعنى الاستئصال المعنوي، كنقل الأطفال عنوة من جماعة لأخرى.

والقنابل النووية لم تسقط سهواً أو خطأً علي جزيرتي هيروشيما وناغازاكي عام ١٩٤٥م والتي أبادت سكان المناطق بالكامل ولمجرد أنهم مواطنون لدولة العدو، بل وأصبحت جريمة مستمرة إذ أن السلالة التي خرجت من أصلاب من نجوا كانت مشوهة<sup>١</sup>. ومن صور الجريمة الإبادة الجماعية في العصر الحالي ما ارتكبه الحكومة في جنوب إفريقيا في حق المواطنين السود، وما ارتكب ولا يزال يرتكب من إسرائيل ودون رادع في حق فلسطين في الأراضي المحتلة، ولبنان وغيرها.

وجريمة الإبادة الجماعية ليست فقط جريمة جنائية دولية عمدية، وإنما هي جريمة يعاقب مرتكبيها وفاعلوها الأصليون والشركاء أياً كانت صورة الاشتراك مثل بالتآمر أو التحريض أو المساعدة، كما أن الشروع فيها يأخذ حكم الجريمة التامة ويستوجب عقاب مرتكبيها.

وقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٨٢ قراراً يصف المجازر التي ارتكبتها القوات الإسرائيلية ضد الفلسطينيين في مخيمي صابرا وشاتيلا بأنها [إبادة جنس]. ورغم معارضة بعض الدول لهذا القرار فقد تمت موافقة ١٢٣ دولة علي القرار ككل دون معارضة وامتنعت ٢٢ دولة عن التصويت، بينما حظيت الفقرة الثانية من القرار التي شملت لفظ الإبادة علي موافقة ٩٨ دولة، واعتراض ١٩ دولة وامتناع ٢٣ دولة عن التصويت. وفي أعقاب كل مذبحه إسرائيلية ضد الفلسطينيين تثار في الأوساط السياسية والقانونية قضية: هل ما يحدث في فلسطين يعد جريمة [إبادة جنس] كما أقرتها اتفاقية الإبادة الخاصة بالأمم المتحدة عام ١٩٤٨؟<sup>٢</sup>.

وقد انتهجت إسرائيل سياسة عنصرية ترمي إلى اضطهاد السكان العرب وطردهم من بيوتهم والقضاء عليهم كلياً أو جزئياً، وتحطيم العرب كجماعة قومية. وكشفت الأمم المتحدة عن سياسة الإبادة التي تقوم بها إسرائيل من أجل توطيد الاستيطان الصهيوني في فلسطين وغيرها من الأراضي المحتلة، وقد أشارت إحدى لجان حقوق الإنسان إلى عمليات القتل الجماعية التي ارتكبتها إسرائيل في الأراضي المحتلة، وأشير في أواخر ١٩٨١ إلى قيام عصابات صهيونية بوضع مستحضرات تؤدي إلى العقم في خزانات المياه والآبار التي يستعملها الفلسطينيون، بغية الحد من تناسلهم وهو ما يشكل جريمة الإبادة بالمعنى الدقيق المنصوص عليه في الاتفاقية. وهذه الجرائم تشبه الجرائم التي ارتكبتها النازيون ضد السكان الأوروبيين إبان الحرب العالمية الثانية؛

<sup>١</sup> Totten: Century Of Genocide, p. ٢٢

<sup>٢</sup> عبد الواحد محمد الفار: الجرائم الدولية وسلطة العقاب عليها، ص٧

والتي أدايتها محكمة نورمبرج، والجرائم التي تقوم بها إسرائيل تأخذ طابع العقاب الجماعي ضد المدنيين الذي تلجأ إليه سلطات الاحتلال الإسرائيلي بمناسبة بعض العمليات الفدائية التي يقوم بها رجال المقاومة الفلسطينية في الأراضي المحتلة<sup>١</sup>.

### ثانياً - التنظيمات المنفذة للإبادة الجماعية في فلسطين:

من السمات الأساسية لجرائم الإبادة في فلسطين تكوين المنظمات الإرهابية الصهيونية التي تتخذ طابعاً تنظيمياً مستقلاً عن جهاز الدولة للقيام بقتل الأشخاص بصورة منتقاه أو بأساليب عشوائية مثل الهجوم على الحافلات الفلسطينية؛ إلى تسميم الطالبات الفلسطينيات وتدبير مخططات لإفقادهن القدرة على الإنجاب مستقبلاً، وأعمال الاختطاف وغير ذلك من جرائم.

وإذا نظرنا إلى قائمة أسماء هذه المنظمات التي تقف وراء عمليات الإرهاب في الضفة الغربية بوجه خاص، وجدنا أن من بينها من أعلن مسؤوليته عن حوادث بعينها، في حين آثر بعضها أن يلتزم سرية شملت حتى الحرص على إخفاء اسمه أو أهدافه ولو إلى حين.

ولقد قامت هذه المنظمات على "المستوطن المسلح" بالأسلحة النارية الذي تلقى قدراً من التدريب في جيش إسرائيل النظامي. ومثلما منحه الدولة العبرية امتياز حمل السلاح في مواجهة الفلسطيني الأعزل فإنها في الوقت نفسه منحه حصانة قانونية لممارساته الإرهابية بينما يتعقب القانون العنصري التمييزي كل أنشطة الفلسطينيين وضمنها الأنشطة السلمية<sup>٢</sup>.

ولذا فإن تقرير لجنة التحقيق الإسرائيلية قد انتهى في مايو ١٩٨٢ إلى اتهام السلطات الإسرائيلية (جيشاً وشرطة) بالتواطؤ وتجاهل جرائم المستوطنين. كما أشار التقرير نفسه إلى ازدواج نظام الضبط والمحاكمة في مواجهة الفلسطينيين من جانب والمستوطنين اليهود من جانب آخر.

وبصرف النظر عن تشكيل جماعات إرهابية صهيونية أو غياب هذه الجماعات فإن سلطات الاحتلال تحافظ على ما يمكن وصفه "الاتفاق الضمني المقدس" الذي يتحمل المستوطنون المسلحون بمقتضاه جانباً من مسؤولية الأمن في الضفة وغزة. ولذا فإن تقارير الأمم المتحدة نفسها تذهب إلى الإقرار بأن "المستوطنين يشكلون الجناح العسكري الخفي لسلطات الاحتلال الإسرائيلي".

وقد تكون مصادر تمويل هذه الجماعات من الأمور التي لم يتم الكشف عنها نهائياً، إلا أن العديد من الدلائل والاعترافات تذهب إلى أن السلطات الإسرائيلية نفسها تسهم في عملية التمويل هذه بصورة مباشرة أو غير مباشرة حين تغدق الأموال على منظمات الاستيطان التي تُعد

<sup>١</sup> حسن الجوني: جريمة إبادة الأجناس في ضوء المحكمة الجنائية الدولية، ص ١٢

<sup>٢</sup> Totten: Century Of Genocide, p. ٥٥

المظلة الأساسية التي تنمو أسفلها العديد من هذه الجماعات الإرهابية، وحين تغدق الرواتب الحكومية على المستوطنين في الضفة. ويُعد التمويل الخارجي عنصراً لا يجب تغافله في سياق طبيعة الكيان الصهيوني العامة<sup>١</sup>.

ومن المنظمات التي أُسست لخدمة الهجوم على العرب منظمة بارجيورا، ثم منظمة الحارس (الهاشومير) التي أُسست عام ١٩٠٩، ثم النوطريم التي أسستها سلطات الانتداب البريطاني بالتعاون مع الهاجاناه للمساعدة في قمع الانتفاضات الفلسطينية العربية التي قامت في فلسطين في الفترة من ١٩٣٦ وحتى ١٩٣٩. ومنها أيضاً منظمة إتسل التي تأسست في فلسطين عام ١٩٣١.

وأما المنظمات التي تم تأسيسها للمشاركة في تدفّق المجهود الحربي الاستعماري فنجد منها منظمة الحارس نفسها، ثم فرقة البغالة الصهيونية والكتائب ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ التي شكلت الفيلق اليهودي في الحرب العالمية الأولى، إضافة إلى الهاجاناه والبالماخ واللواء اليهودي الذي تم تشكيله بقرار من الحكومة البريطانية عام ١٩٤٤. هذا بالإضافة إلى منظمة ليحي (شتيرن) التي طرحت فكرة الوقوف إلى جانب ألمانيا النازية للتخلص من الاحتلال البريطاني لفلسطين، ومن ثم إقامة الدولة اليهودية.

وفي عام ١٩٤٨ كان التجمّع الصهيوني الاستيطاني في فلسطين يضم ثلاثة تنظيمات عسكرية هي: الهاجاناه وهي كبرى التنظيمات الثلاثة وكانت خاضعة للوكالة اليهودية، ومنظمة إتسل المنبثقة عن أفكار جابوتسكي التنقيحية وكانت آنذاك بزعامة مناخم بيجين، ومنظمة ليحي وهي أصغر المنظمات، وكانت قد اشتهرت باسم قائدها أبراهام شتيرن. وقد تم بناء الجيش الإسرائيلي على هذه المنظمات الثلاث. ففي السادس والعشرين من مايو عام ١٩٤٨، وفي غمرة معارك الحرب العربية - الإسرائيلية الأولى، تم إعلان قيام جيش الدفاع الإسرائيلي، وذلك بتحويل منظمة الهاجاناه إلى نواة لهذا الجيش، ودخول التنظيمين الأخيرين، إتسل وليحي، في دائرة هذه النواة<sup>٢</sup>.

والمجتمعات الاستيطانية مجتمعات ذات طابع عسكري بسبب رفض السكان الأصليين لها. وإسرائيل لا تشكل أي استثناء من هذه القاعدة، فهي مجرد تحقّق جزئي لنمط متكرر عام. وقد ظهرت منظمات ومؤسسات وميليشيات عسكرية قبل عام ١٩٤٨ دُمجت كلها في مؤسسة واحدة،

<sup>١</sup> مصطفى مصباح دبارة: الإرهاب "مفهوم وأهم جرائمه في القانون الدولي الجنائي"، ص ٤٤

<sup>٢</sup> عبد الوهاب محمد المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ١١٥/٢

هي المؤسسة العسكرية الإسرائيلية التي أصبحت العمود الفقري للتجمّع الاستيطاني الصهيوني. ويتميّز المجتمع الإسرائيلي بصبغة عسكرية شاملة قوية، فجميع الإسرائيليين القادرين على حمل السلاح رجالاً ونساءً يؤدون الخدمة الإلزامية. وينطبق على هذا المجتمع وصف «المجتمع المسلح»، أو «الأمة المسلحة» كما يصف الإسرائيليون أنفسهم<sup>١</sup>.

ولا تمثل المؤسسة العسكرية الإسرائيلية بالنسبة لإسرائيل مجرد آلة مسلحة لتحقيق أهدافها السياسية ومصالحها الحيوية، ولكنها تتغلغل في معظم أوجه الحياة السياسية، بدءاً بإقامة المستوطنات وتنظيم الهجرة إلى إسرائيل، وتحقيق التكامل بين المهاجرين إليها، وتنظيم البرامج التعليمية لأفراد الجيش، ومراقبة أجهزة الإعلام وتوجيهها، وتطوير البحث العلمي، إلى تحديد حجم الإنفاق العسكري بما يؤثر على عموم الأحوال الاقتصادية للدولة، والتأثير على مجال الصناعة وخصوصاً الصناعات الحربية والإلكترونية، ومجال القوى العاملة والتنمية الإدارية. وتقوم المؤسسة العسكرية بدور مهم في التأثير في وضع الأراضي العربية المحتلة وتحديد الأراضي التي يتم ضمها إلى إسرائيل، وطرد العرب من هذه الأراضي. ويُضاف إلى ذلك أن المؤسسة العسكرية تحتفظ بصلات وثيقة، بهدف التنسيق والمتابعة، مع معظم أجهزة الدولة مثل وزارات الخارجية والمالية والتجارة والصناعة والعمل والتربية والتعليم والشرطة والزراعة والشؤون الدينية. وللمؤسسة العسكرية شبكة للعلاقات الخارجية تشمل الاتصالات من أجل الحصول على معلومات أو أسلحة، والقيام بعمليات سرية في الخارج، وتدريب أفراد من الدول النامية على القتال.

وأشهر المنظمات المشاركة في جرائم الإبادة الجماعية ما يلي:

١- **بارجيورا Bar Giora**: منظمة عسكرية صهيونية سرية أسسها في فلسطين عام ١٩٠٧، وكان شعارها "بالدم والنار سقطت يهودا، وبالدم والنار ستقوم يهودا". واستمرت تعمل حتى ١٩٠٩ حيث أتاح تطورها فرصة تأسيس منظمة أكثر اتساعاً واستقراراً وهي منظمة الحارس (Ha-Shomer)<sup>٢</sup>.

٢- **البيتار Betar**: داخل بيتار، تشكلت الكوادر الأساسية لمنظمة الإرجون الإرهابية ولحركة حيروت.

٣- **الفيلق اليهودي Jewish Legion**: هو تشكيلات عسكرية من المتطوعين اليهود الذين حاربوا في صفوف القوات البريطانية والحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى مثل الكتيبة

<sup>١</sup> عبد العظيم أحمد عبد العظيم: الجغرافيا السياسية، ص ١١٥

<sup>٢</sup> عبد الوهاب محمد المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ٥٥/٢



اليهودية رقم ٣٨ التي جُنِّدت في إنجلترا عام ١٩١٥ . ١٩١٧، والكتيبة ٣٩ التي نظمها بن جوريون وبن تسفي في الولايات المتحدة بين عامي ١٩١٧ . ١٩١٨، والكتيبة ٤٠ التي تم تشكيلها في فلسطين، وكذلك كتائب حملة البنادق الملكية وفرقة البغالة الصهيونية التي نظمها جابوتسكي وترومبلدور في مصر عام ١٩١٥. وقد بلغ عدد أفراد كل هذه المنظمات ٦٤٠٠ رجل.

#### ٤- فرقة البغالة الصهيونية **Zion Mule Corps** : وحدة عسكرية صهيونية مساعدة

للجيش البريطاني شكَّلت عام ١٩١٥ إثر اندلاع الحرب العالمية الأولى. وكان جابوتسكي أول من فكر في تكوين هذه الوحدة لاقتناعه بأهمية التحالف مع بريطانيا للتخلص من الإدارة العثمانية لفلسطين وضرورة القوة المسلحة اليهودية لبناء الدولة الصهيونية. وشكَّلت الفرقة من بعض اليهود المصريين وبعض اليهود الذين رُحِّلوا إلى الإسكندرية. وقد ضمت الفرقة ٦٥٠ ضابطاً وجندياً و ٢٠ حصاناً للضباط والمساعدين و ٧٥٠ بغلاً (ومن هنا جاءت التسمية)، وقد اتخذت الفرقة نجمة داود شعاراً لها وكانت معظم تدريباتها تجري بالعبرية<sup>١</sup>.

#### ٥- النوتريم **Notrim**: «النوتريم» كلمة عبرية تعني «الحرس أو الخفراء»، وهي الشرطة

اليهودية الإضافية التي شكلتها سلطات الانتداب البريطاني بالتعاون مع الهاجاناه للمساعدة في قمع الانتفاضات العربية في فلسطين في الفترة ١٩٣٦ . ١٩٣٩. وتم في هذا الإطار تجنيد مئات الخفراء من مختلف المدن والمستوطنات، وأرسلوا لحماية المستوطنات الواقعة على الحدود وفي غور الأردن. وقامت هذه القوات بحماية القطارات والسكك الحديدية والمرافق العامة، كما شاركت في نقل المهاجرين اليهود غير الشرعيين<sup>٢</sup>.

#### ٦- الهاجاناه **Haganah**: «الهاجاناه» كلمة عبرية تعني «الدفاع»، وهي منظمة

عسكرية صهيونية استيطانية، أُسِّست في القدس عام ١٩٢٠ لتحل محل منظمة الحارس. وقبيل إعلان قيام دولة إسرائيل، كان عدد أعضاء الهاجاناه يبلغ نحو ٣٦.٠٠٠ بالإضافة إلى ٣٠٠٠ من البالماخ، كما اكتمل بناؤها التنظيمي، الأمر الذي سهَّل عملية تحويلها إلى جيش موحد ومحترف للدولة الصهيونية، حيث أصدر بن جوريون في ٣١ مايو ١٩٤٨ قراراً بحل الإطار التنظيمي القديم للهاجاناه وتحويلها إلى جيش الدفاع الإسرائيلي.

#### ٧- البالماخ **Palmach** : «البالماخ» تعني «سرايا الصاعقة»، وهي القوات الضاربة

للهاجاناه التي شكَّلت عام ١٩٤١ لتعمل كوحدات متقدمة وقادرة على القيام بالمهام الخاصة،

<sup>١</sup> عبد الوهاب محمد المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ٩٠/٢

<sup>٢</sup> Adam Jones, New Directions In Genocide Research, p. ٣٢

بالإضافة إلى إمداد الهاجاناه باحتياطي دائم من المقاتلين المدربين جيداً. وقد تميّز أفراد هذه القوات بدرجة عالية من التنقيف السياسي الذي يركز على مبادئ الصهيونية العمالية. كما تلقوا تدريباً مناسباً في مجالات الطيران والبحرية واستخدام الرادار وأعمال المخابرات. وشكّلت البالماخ القوام الأساسي لقوات الصاعقة في جيش الدفاع الإسرائيلي.

٨- **إتسل Etzel**: تعنى الكلمة المنظمة العسكرية القومية في أرض إسرائيل» وتُعرف أيضاً باسم «الإرجون». وهي منظمة عسكرية صهيونية تأسست في فلسطين عام ١٩٣١ من اتحاد أعضاء الهاجاناه الذين انشقوا على المنظمة الأم وجماعة مسلحة من بيتار، كانت أنشطة إتسل موجهة بالأساس ضد الفلسطينيين. وكان للعمليات الإرهابية التي قامت بها إتسل ضد المزارعين الفلسطينيين دور كبير في إرغام بعض هؤلاء المزارعين على مغادرة البلاد. كما لجأت المنظمة إلى الهجوم على السيارات العربية المدنية، ونفذت بالتعاون مع ليحي وبمباركة الهاجاناه مذبحه دير ياسين الشهيرة في ٩ أبريل ١٩٤٨.

٩- **ليحي Lehi**: «ليحي» أي «المحاربون من أجل حرية إسرائيل»، وهي منظمة عسكرية صهيونية سرية أسست عام ١٩٤٠ بعد انشقاقها عن إتسل. ومنذ عام ١٩٤٢، أصبحت المنظمة تُعرف أيضاً باسم مؤسسها شتيرن بعد مقتله على أيدي سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين.

١٠- **المستعربون (المستعريفيم Mustarivim)**: هي وحدات عسكرية سرية صهيونية كانت تعمل في فلسطين والبلاد العربية المجاورة منذ عام ١٩٤٢، وكان هدف هذه الوحدات، التي كانت آنذ جزءاً من البالماخ، الحصول على معلومات وأخبار، والقيام بعمليات اغتيال للعرب من خلال تسلُّ أفرادها إلى المدن والقرى العربية متخفين كعرب محليين. وقد تم بعث فرق المستعريفيم عام ١٩٨٨ لمواجهة الانتفاضة<sup>١</sup>.

١١- **اللواء اليهودي Jewish Brigade**: وحدة عسكرية يهودية شكّلت بقرار من الحكومة البريطانية عام ١٩٤٤ لتقاتل أثناء الحرب العالمية الثانية في صفوف قوات الحلفاء، وقد تطوع في العام نفسه نحو ١٣٠.٠٠٠ من المستوطنين اليهود في فلسطين للقتال ضد دول المحور.

١٢- **جوش إيمونيم Gush Emunim**: حركة صهيونية استيطانية ذات ديباجات دينية تطالب بصهيونية الحد الأقصى. والحركة ليست حزباً وإنما حركة شعبية غير ملتزمة إلا بالحفاظ على أرض إسرائيل. ولكن رغم توجهها الديني الواضح، فإنه توجّه ديني في إطار حلولي، ومن ثم يتداخل الديني والقومي. وقد تأسست الحركة رسمياً في نهاية شتاء ١٩٤٧.

<sup>١</sup> إسماعيل الأشقر، ومؤمن بسيسو: دراسة توثيقية للقتلى والجرحى الصهاينة خلال انتفاضة الأقصى، ص ٦١

١٣- منظمة كاخ Kach: هي جماعة صهيونية سياسية إرهابية صاغت شعارها على النحو التالي: يد تمسك بالتوراة وأخرى بالسيف وكتب تحتها كلمة «كاخ» العبرية، بمعنى أن السبيل الوحيد لتحقيق الآمال الصهيونية هي التوراة والسيف (أي العنف المسلح والدياجات التوراتية).

#### ومن أبرز القادة الإسرائيليين المنفذين للإبادة الجماعية:

١- ديفيد بن جوريون David Ben Gurion (١٨٨٦-١٩٧٣)

٢- مناحم بيجين Menahem Begin (١٩١٣-١٩٩٢)

٣- إسحاق رابين Isaac Rabin (١٩٢٢-١٩٩٥)

٤- شيمون بيريز Shimon Peres (١٩٢٣-)

٥- أرييل شارون Ariel Sharon (١٩٣٣-٢٠١٤)

٦- ديفيد ليفي David Levy (١٩٣٧-)

٧- إسحق مردخاي Isaac Mordechai (١٩٤٤-)

٨- إيهود باراك Ihud Barak (١٩٤٢-)

٩- بنيامين نتياهو Benjamin Netanyahu (١٩٤٩-)

#### ثالثاً - جرائم الإبادة قبل قيام الدولة الصهيونية:

يمكن الإشارة لبعض العمليات المهمة من بينها قيام إرهابيي الهاجاناه بقتل مواطنين عربيين فلسطينيين بجوار مستعمرة بتاح تكفا رماً بالرصاص حيث كان كوخهما، وذلك في ١٦ أبريل عام ١٩٣٦. وهو نفس العام الذي أصدرت فيه الهاجاناه سبعة قرارات بإطلاق النار على العرب أينما كانوا. كما شهد عام ١٩٣٧ سلسلة من عمليات إلقاء القنابل اليدوية على تجمعات المواطنين الفلسطينيين العزل في المقاهي ووسائل النقل والأسواق، وكان من أشهرها إلقاء إتسل قنبلة على سوق الخضار المجاور لبوابة نابلس في القدس فسقط عشرات من العرب بين قتيل وجريح. كما أطلق أعضاء نفس المنظمة النار على قافلة عربية فقتلوا ثلاثة ركاب بينهم امرأتان في ١٤ نوفمبر ١٩٣٧ وهو اليوم الذي أُطلق عليه لقب «الأحد الأسود» في القدس، حين نفَّذ الإرهابيون الصهاينة أكثر من عملية في المدينة كمظهر لاستعراض القوة.

وفي ٦ مارس عام ١٩٣٧ لقي ١٨ عربياً مصرعهم وأصيب ٣٨ آخرون من جراء إلقاء قنبلة يدوية في سوق حيفا. كما تعرض نفس السوق في شهر يولييه من العام نفسه إلى تفجير سيارة ملغومة أودت بحياة ٣٥٠ عربياً فلسطينياً وجرحت ٧٠ آخرين، بينما يفخر المؤرخون الصهاينة بأن عدد الضحايا كان أكثر بكثير مما أعلنت عنه سلطات الانتداب. وفي اليوم التالي سقط ٢٧

عربياً فلسطينياً وأصيب ٤٦ آخرون بجراح من جراء قنبلة يدوية ألقتها العصابات الصهيونية على السوق المزدهم. كما تعرّض سوق القدس في ٢٦ أغسطس عام ١٩٣٨ إلى انفجار سيارة ملغومة أسفر عن مقتل ٣٤ عربياً وجرح ٣٥ آخرين وفق أقل التقديرات. وفجّرت إتسل قنبلة يدوية أمام أحد المساجد في مدينة القدس في ١٥ يوليه ١٩٣٨ أثناء خروج المصلين فقتلت عشرة أشخاص وأصابت ثلاثين. وعن أحداث العام نفسه يفتخر الصهاينة بهجوم الإرهابي شلومو بن يوسف واثنان من رفاقه من جماعة إتسل على سيارات عربية فلسطينية يستقلها مواطنون عُزّل. وقد نفّذت السلطات البريطانية حكم الإعدام في شولمو فحوّله المستوطنون الصهاينة إلى بطل قومي مثالي ويحمل طابع بريد إسرائيلي صورته، واختارت إحدى منظمات الإرهاب الصهيوني السرية في الثمانينات اسمه لتطلقه على عملية مماثلة جرت في الضفة الغربية<sup>١</sup>.

ومن بين العمليات الإرهابية الصهيونية خلال عام ١٩٣٩ شهد يوم ٢٧ فبراير وحده سقوط ٢٧ قتيلاً عربياً وجرح ٣٩ آخرين في حيفا إثر تفجير منظمة إتسل قنبلتين. كما سقط ثلاثة من العرب وجرح رابع في تل أبيب. بينما قُتل ثلاثة آخرون وجرح ستة في القدس. إلا أن من أبرز العمليات الإرهابية التي شهدتها العام الهجوم الذي دبرته إتسل على سينما ركس في القدس حيث جرى تخطيط متعدد المراحل لتحقيق أكبر عدد ممكن من الخسائر البشرية بواسطة المتفجرات التي تم تسريبها إلى المبنى إضافة إلى إلقاء القنابل داخله ثم فتح نيران الرشاشات على رواد السينما الذين خرجوا في حالة من الذعر والهلع، وقد تم تنفيذ هذه العملية الإرهابية في ٢٩ مايو ١٩٣٩.

ولم تكن الهاجاناه بعيدة عن التنافس مع إتسل، فقد هاجمت عناصرها قرية بلدة الشيخ بجوار حيفا في ١٢ يوليه ١٩٣٩ واختطفت خمسة من سكانها ثم قتلتهم. كما جرى في ٢٩ يوليه الهجوم على ست سيارات عربية فلسطينية في تل أبيب ورحبوت وبتاح تكفا كانت حصيلتها قتل ١١ عربياً. وأسفر إلقاء القنابل في مدينة يافا في ٢٦ أغسطس عن مصرع ٢٤ عربياً فلسطينياً وجرح ٣٥ آخرين.

وقد وجدت المنظمات الصهيونية سنوات الحرب العالمية فرصة لتطوير نفوذها وتقوية هياكلها وتسليحها تمهيداً للانطلاق عند انتهاء الحرب. فزادت عدداً وعدة وأضفت على وجودها قدراً من الشرعية بالتعاون مع بريطانيا والحلفاء. وهكذا أعدت المنظمات نفسها للانطلاق لاحقاً نحو هدفين: الأول إجبار الفلسطينيين أصحاب البلاد الأصليين على مغادرة أراضيهم بما فيها تلك التي يشكلون فيها أغلبية ساحقة وهي الأرض التي خصهم بها مشروع التقسيم لاحقاً. والثاني الضغط

<sup>١</sup> Leo Kuper: International Action Against Genocide, p. ٣٣

على البريطانيين لإلغاء القيود المفروضة وبخاصة على الهجرة والعمل من أجل إقامة دولة صهيونية بأسرع الوسائل<sup>١</sup>.

وإذا كانت دير ياسين أشهر المذابح التي خلفها تاريخ تلك المرحلة، فإن مذابح لا تقل أهمية عنها لا يمكن حصرها قد وقعت خلال العامين ١٩٤٧ و١٩٤٨ خاصة. وهي مذابح راح ضحيتها الآلاف من أبناء الشعب الفلسطيني. وتلك المذابح قد تسببت في هجر السكان الفلسطينيين خلال حرب ١٩٤٨ لحوالي ٣٥٠ قرية ومدينة بشكل كلي أو جزئي من بين ٤٥٠ سيطرت عليها العصابات الصهيونية. وإلى جانب الإبادة كان المقصود هو ارتكاب أشنع أنواع الفظائع ونشر أنبائها لخلق حالة من الذعر بين المواطنين الفلسطينيين تدفعهم إلى الرحيل.

وأهم المذابح الصهيونية قبل قيام الدولة الصهيونية في ١٩٤٨ تتمثل فيما يلي:

١- **مذبحة قريتي الشيخ وحواصة** (٣١ ديسمبر عام ١٩٤٧): انفجرت قنبلة خارج بناء شركة مصفاة بترول حيفا وقتلت وجرحت عدداً من العمال العرب القادمين إلى المصفاة. وإثر ذلك ثار العمال العرب بالشركة وهاجموا الصهاينة العاملين بالمصفاة بالمعاول والفؤوس وقضبان الحديد وقتلوا وجرحوا منهم نحو ستين صهيونياً. وكان قسم كبير من العمال العرب في هذه المصفاة يقطنون قريتي الشيخ وحواصة الواقعتين جنوب شرق حيفا، ولذا خطط الصهاينة للانتقام بمهاجمة البلديتين، ولم يكن لدى العرب سلاح كاف، ولم يتعد الأمر وجود حراسات محلية بسيطة في الشوارع. وراح ضحية ذلك الهجوم نحو ٣٠ فرداً بين قتيل وجريح معظمهم من النساء والأطفال<sup>٢</sup>.

٢- **مذبحة قرية سعسع** (١٤ . ١٥ فبراير ١٩٤٨): شنت كتيبة البالماخ الثالثة هجوماً على قرية سعسع، فدمرت ٢٠ منزلاً فوق رؤوس سكانها، وأسفر ذلك عن مقتل ٦٠ عربياً معظمهم من النساء والأطفال. وقد وُصفت هذه العملية بأنها "مثالية"<sup>٣</sup>.

٣- **مذبحة رحوفوت** (٢٧ فبراير ١٩٤٨): حدثت في مدينة حيفا قرب رحوفوت حيث تم نسف قطار القنطرة الأمر الذي أسفر عن استشهاد سبعة وعشرين عربياً وجرح ستة وثلاثين آخرين.

٤- **مذبحة كفر حسينية** (١٣ مارس ١٩٤٨): قامت الهاجاناه بالهجوم على القرية وقامت بتدميرها وأسفرت المذبحة عن استشهاد ثلاثين عربياً.

<sup>١</sup> عبد العظيم أحمد عبد العظيم: الجغرافيا السياسية، ص ١١٧

<sup>٢</sup> محمود خليل أبو دف: انتهاك حقوق الطفل الفلسطيني وتهديد أمنه النفسي والاجتماعي ،

<sup>٣</sup> عبد الوهاب محمد المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،

٥- **مذبحة بنياميناه** (٢٧ مارس ١٩٤٨): حدثت مذبحتان في هذا الموضع، حيث تم نسف قطارين، أولهما نُسف في ٢٧ مارس وأسفر عن استشهاد ٢٤ فلسطينياً عربياً وجرح أكثر من ٦١ آخرين، وتمت عملية النسف الثانية في ٣١ من نفس الشهر حيث استُشهد أكثر من ٤٠ عربياً وجُرح ٦٠ آخرون.<sup>١</sup>

٦- **مذبحة دير ياسين** (٩ أبريل ١٩٤٨): مذبحة ارتكبتها منظمتان عسكريتان صهيونيتان هما الإرجون وشستيرن ليحي. وتم الهجوم باتفاق مسبق مع الهاجاناه، وراح ضحيتها زهاء ٢٦٠ فلسطينياً من أهالي القرية العزل. وكانت هذه المذبحة، وغيرها من أعمال الإرهاب والتكيل، إحدى الوسائل التي انتهجتها المنظمات الصهيونية المسلحة من أجل السيطرة على الأوضاع في فلسطين تمهيداً لإقامة الدولة الصهيونية. وقامت القوات الصهيونية بعمليات تشويه سادية (تعذيب . اعتداء . بتر أعضاء . ذبح الحوامل والمرهنة على نوع الأجنة)، وألقي بـ ٥٣ من الأطفال الأحياء وراء سور المدينة القديمة، واقتيد ٢٥ من الرجال الأحياء في حافلات ليطوفوا بهم داخل القدس طواف النصر على غرار الجيوش الرومانية القديمة، ثم تم إعدامهم رمياً بالرصاص. وألقيت الجثث في بئر القرية وأُغلق بابه بإحكام لإخفاء معالم الجريمة.<sup>٢</sup>

٧- **مذبحة ناصر الدين** (١٤ أبريل ١٩٤٨): (اشتدت حدة القتال في مدينة طبرية بين العرب والصهاينة، وكان التفوق في الرجال والمعدات في جانب الصهاينة منذ البداية. وجرت محاولات لنجدة مجاهدي طبرية من مدينة الناصرة وما جاورها. وجاءت أنباء إلى أبناء البلدة عن هذه النجدة وطُلب منهم التنبه وعدم فتح النيران عليها. ولكن هذه الأنباء تسربت إلى العدو الصهيوني الذي سيطر على مداخل مدينة طبرية فأرسلت منظمتا ليحي والإرجون في الليلة المذكورة قوة إلى قرية ناصر الدين يرتدي أفرادها الملابس العربية، فاعتقد الأهالي أنهم أفراد النجدة القادمة إلى طبرية فاستقبلوهم بالترحاب، وعندما دخل الصهاينة القرية فتحوا نيران أسلحتهم على مستقبلهم، ولم ينج من المذبحة سوى أربعين عربياً استطاعوا الفرار إلى قرية مجاورة. وقد دمر الصهاينة بعد هذه المذبحة جميع منازل ناصر الدين.<sup>٣</sup>

٨- **مذبحة تل لتفنسكي** (١٦ أبريل ١٩٤٨): قامت عصابة يهودية بمهاجمة معسكر سابق للجيش البريطاني يعيش فيه العرب وأسفر الهجوم عن استشهاد ٩٠ عربياً.

<sup>١</sup> Dinah Shelton, Ed.,: Encyclopedia Of Genocide And Crimes Against Humanity, p. ١٣

<sup>٢</sup> محمود خليل أبو دف: انتهاك حقوق الطفل الفلسطيني وتهديد أمنه النفسي والاجتماعي ، ص٣٦

<sup>٣</sup> عبد الوهاب محمد المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ٢٢٢/٣

٩- **مذبحة حيفا** (٢٢ أبريل ١٩٤٨): هاجم المستوطنون الصهاينة مدينة حيفا في منتصف الليل واحتلوها وقتلوا عدداً كبيراً من أهلها، فهرع العرب الفلسطينيون العزل الباقون للهرب عن طريق مرفأ المدينة فتبعهم اليهود وأطلقوا عليهم النيران، وكانت حصيلة هذه المذبحة أكثر من ١٥٠ قتيلاً و٤٠ جريحاً.

١٠- **مذبحة بيت داراس** (٢١ مايو ١٩٤٨): حاصر الإرهابيون الصهاينة قرية بيت داراس التي تقع شمال شرق مدينة غزة، ودعوا المواطنين الفلسطينيين إلى مغادرة القرية بسلام من الجانب الجنوبي، وسرعان ما حصدت نيران الإرهابيين سكان القرية العزل وبينهم نساء وأطفال وشيوخ بينما كانوا يغادرون القرية وفق تعليمات قوة الحصار. وكانت نفس القرية قد تعرضت لأكثر من هجوم صهيوني خلال شهري مارس وأبريل عام ١٩٤٨. وبعد أن نسف الإرهابيون الصهاينة منازل القرية وأحرقوا حقولها أقاموا مكانها مستعمرتين.

١١- **مذبحة اللد (أوائل يوليه ١٩٤٨)**: تُعدّ عملية اللد أشهر مذبحة قامت بها قوات البالماخ. وقد تمت العملية، المعروفة بحملة داني، لإخماد ثورة عربية قامت في يوليه عام ١٩٤٨ ضد الاحتلال الإسرائيلي. فقد صدرت تعليمات بإطلاق الرصاص على أي شخص يُشاهد في الشارع، وفتح جنود البالماخ نيران مدافعهم الثقيلة على جميع المشاة، وأخمدوا بوحشية هذا العصيان خلال ساعات قليلة، وأخذوا ينتقلون من منزل إلى آخر، يطلقون النار على أي هدف متحرك. ولقي ٢٥٠ عربياً مصرعهم<sup>١</sup>.

#### رابعا - جرائم الإبادة بعد قيام الدولة الصهيونية:

يعد حصر الجرائم الإرهابية الذي نُفذت بأيدي القوات الرسمية الإسرائيلية ضد الفلسطينيين داخل الأراضي المحتلة عملاً جديراً بالجهود رغم صعوبته. وما يستحق التأكيد أن معركة التغيير الديموجرافي لفلسطين المحتلة لجعلها أرضاً بلا شعب لم تتوقف حسب ما يُعتقد بانتهاء حرب ١٩٤٨ وما نتج عنها من تشريد مليون لاجئ. فقد استمرت إسرائيل في سياسة الاقتلاع الاستعمارية الاستيطانية بوتيرة لم تقل مطلقاً عن عامي ١٩٤٧ و١٩٤٨ وعلى الأقل حتى نهاية الستينيات، وإن لم تتوقف هذه السياسة مطلقاً فيما بعد.

ومن أهم المذابح التي ارتكبتها المستوطنون الصهاينة بين عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ ما يلي :

<sup>١</sup> عبد الوهاب محمد المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ١٠٨/٢

١- مذبحة الدوايمة (٢٩ أكتوبر ١٩٤٨): هاجمت منظمة ليحي قرية الدوايمة الواقعة غرب مدينة الخليل. وقام المستوطنون الصهاينة بتفتيش المنازل واحداً واحداً وقتلوا كل من وجدوه بها رجلاً أو امرأة أو طفلاً، كما نسفوا منزل مختار القرية. إلا أن أكثر الوقائع فظاعة كان قتل ٧٥ شيخاً مسناً لجأوا إلى مسجد القرية في صباح اليوم التالي وإبادة ٣٥ عائلة فلسطينية كانت في إحدى المغارات تم حصدهم بنيران المدافع الرشاشة. وبينما تسلل بعض الأهالي لمنازلهم ثانية للنزول بالطعام والملابس جرى اصطيادهم وإبادتهم ونسف عدد من البيوت بمن فيها. وقد حرص الصهاينة على جمع الجثث والقائها في بئر القرية لإخفاء بشاعة المجزرة<sup>١</sup>.

٢- مذبحة يازور (ديسمبر ١٩٤٨): كثف الصهاينة اعتداءاتهم المتكررة على قرية يازور الواقعة بمدخل مدينة يافا، ونظمت وحدات البالماخ ولواء جبعاتي مجموعة عمليات إرهابية ضد منازل وحافلات يستقلها فلسطينيون عُرِّل. وتوجت العصابات الصهيونية نشاطها الإرهابي في ٢٢ يناير ١٩٤٩، وأسفر هذا الاعتداء عن مقتل ١٥ فلسطينياً من سكان القرية لقي معظمهم حتفه وهم في فراش النوم.

٣- مذبحة شرفات (٧ فبراير ١٩٥١): في الثالثة من صبيحة يوم ٧ فبراير عام ١٩٥١ وصلت ثلاث سيارات من القدس المحتلة إلى نقطة تبعد ثلاثة كيلو مترات ونصف عن خط السكة الحديدية جنوب غرب المدينة وتوقفت حيث ترجل منها نحو ثلاثين جندياً واجتازوا خط الهدنة وتسلقوا المرتفع باتجاه قرية شرفات الواقعة في الضفة الغربية والمطلّة على القدس بمسافة تبعد نحو خمسة كيلو مترات. وقطع هؤلاء الجنود الأسلاك الشائكة المحيطة بالمدينة وأحاطوا ببيت مختار القرية، ووضعوا عبوات ناسفة في جدرانها وجدران البيت المحاذي له، ونسفوها على من فيهما، وانسحبوا تحت حماية نيران زملائهم التي انصبت بغزارة على القرية وأهلها. وأسفرت هذه المذبحة عن سقوط عشرة من القتلى، وشيخين وثلاث نساء وخمسة أطفال، كما أسفرت عن وقوع ثمانية جرحى جميعهم من النساء والأطفال.

٤- مذبحة بيت لحم (٢٦ يناير ١٩٥٢): في ليلة ذكرى ميلاد السيد المسيح عليه السلام لدى الطوائف المسيحية الشرقية، ٢٦ يناير ١٩٥٢، قامت دورية إسرائيلية بنسف عدة منازل، بمن فيها من السكان.

<sup>١</sup> عبد الوهاب محمد المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ٢/٢٣٤



٥- مذبحة قرية فلما (٢٩ يناير ١٩٥٣): هاجمت سرية معززة قوتها بين ١٢٠ إلى ١٣٠ جندياً قرية فلما العربية الواقعة في الضفة الغربية، ودكت القرية بمدافع الهاون حيث هدمت بعض بيوتها وخلفت تسعة شهداء بين العرب فضلاً عن أكثر من عشرين جريحاً.

٦- مذبحة مخيم البريج (٢٨ أغسطس ١٩٥٣): هاجمت قوات الجيش الإسرائيلي مخيم البريج الفلسطيني في قطاع غزة حيث قتلت ٢٠ شهيداً وجرح ٦٢ آخرون.

٧- مذبحة قلقيلية (١٠ أكتوبر ١٩٥٣): هاجمت قلقيلية مفرزة من الجيش الإسرائيلي فقطعت أسلاك الهاتف ولغمت بعض الطرق، واحتشدت قوة كبيرة في المستعمرات القريبة وهاجمت قلقيلية من ثلاثة اتجاهات. وقد استشهد قرابة سبعين من السكان ومن أهل القرى المجاورة الذين هبوا للنجدة، هذا فضلاً عن الخسائر المادية الكبيرة.

٨- مذبحة قبية (١٥ أكتوبر ١٩٥٣): طوّق ٦٠٠ جندي إسرائيلي القرية تماماً وقصفوها بصورة مركزة ودون تمييز، ثم دخلت قوة منهم إليها وهي تطلق النار عشوائياً بعد أن تمكنت من التخلص من المقاومة التي أبدتها قوة الحرس الوطني المحدودة في القرية. وبينما كان يجري حصد المدنيين العزل بالرصاص قامت عناصر أخرى بتلغيم العديد من منازل الفلسطينيين وتدميرها على من فيها، وأسفرت المذبحة عن سقوط ٦٩ قتيلاً بينهم نساء وأطفال وشيوخ، ونسف ٤١ منزلاً ومسجد وخزان مياه القرية في حين أبيدت أسر بكاملها مثل عائلة عبد المنعم قادوس المكونة من ١٢ فرداً<sup>١</sup>.

٩- مذبحة مخالين (٢٩ مارس ١٩٥٤): قامت قوة من الجيش الإسرائيلي مؤلفة من ٣٠٠ جندي باجتياز خط الهدنة وتوغلت في أراضي الضفة الغربية مسافة أربعة كيلو مترات حتى وصلت إلى قرية مخالين بالقرب من بيت لحم، حيث ألقت كمية من القنابل على تجمعات السكان وبثت الألغام في بيوت القرية وفي المسجد الجامع. وأسفرت هذه المذبحة عن استشهاد أحد عشر عربياً وجرح أربعة عشر آخرون.

١٠- مذبحة دير أيوب (٢ نوفمبر ١٩٥٤): حيث قُتل ثلاثة أطفال من قرية يالو الغربية على يد اثني عشر جندياً إسرائيلياً.

١١- مذبحة غزة الأولى (٢ فبراير ١٩٥٥): اجتازت عدة فصائل من القوات الإسرائيلية خط الهدنة، وتقدمت داخل قطاع غزة إلى مسافة تزيد عن ثلاثة كيلو مترات، فاتجه فصيل لمداهمة

<sup>١</sup> عبد الوهاب محمد المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ١١٩/٢

محطة المياه ونسفها، واستعد فصيل آخر لمهاجمة المواقع المصرية بالرشاشات ومدافع الهاون والقنابل اليدوية، ورابط فصيل ثالث في الطريق لبيت الألغام فيه ومنع وصول النجدة. وارتفع إجمالي عدد ضحايا هذه المذبحة ٣٩ قتيلاً و٣٣ جريحاً.

**١٢- مذبحة غزة الثانية (٤ و ٥ أبريل ١٩٥٦):** قصفت مدافع الجيش الإسرائيلي مدينة غزة، حيث استشهد ٥٦ عربياً وجرح ١٠٣ آخرون.

**١٣- مذبحة خان يونس الأولى (٣٠ مايو ١٩٥٥) والثانية (١ سبتمبر ١٩٥٥):** وقعت بهذه المدينة مذبحتان في عام واحد، حيث شن الصهاينة عليها غارتين. وراح ضحية العدوان الأول عشرون شهيداً وجرح عشرون آخرون. أما العدوان الثاني فشاركت فيه توليفة من الأسلحة شملت سلاح المدفعية والدبابات والمجنزرات المصفحة ووحدات مشاة وهندسة. وكانت حصيلة هذه المذبحة الثانية استشهد ستة وأربعين عربياً وجرح خمسين آخرين.

**١٤- مذبحة الرهوة (١٢.١١ سبتمبر ١٩٥٦):** حيث قامت قوات الاحتلال الصهيوني في اليومين بمهاجمة مركز شرطة ومدرسة في قرية الرهوة حيث تم قتل خمسة عشر شهيداً عربياً ونُسفت المدرسة.

**١٥- مذبحة كفر قاسم (٢٩ أكتوبر ١٩٥٦):** في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ وعشية العدوان الثلاثي على مصر تولت قوة حرس حدود تابعة للجيش الإسرائيلي تنفيذ حظر التجول على المنطقة التي تقع بها قرية كفر قاسم في المثلث على الحدود مع الأردن. وعلى مدى ساعة ونصف سقط ٤٩ قتيلاً و١٣ جريحاً. وأجريت محاكمة للمتهمين الصهاينة قد بدأت بعد عامين كاملين من المذبحة، ولكن قبل عام ١٩٦٠ كانوا جميعاً خارج السجن يتمتعون بالحرية، حيث أصدر إسحق بن تسفي رئيس الدولة عفواً عنهم<sup>١</sup>.

**١٦- مذبحة خان يونس الثالثة (٣ نوفمبر ١٩٥٦):** وقعت المذبحة أثناء احتلال الجيش الصهيوني بلدة خان يونس حيث تم فتح النار على سكان البلد، ومخيم اللاجئين المجاور لها حيث كان عدد الشهداء المدنيين من القرية والمخيم معاً ٢٧٥ شهيداً.

**١٧- مذبحة السموع (١٣ نوفمبر ١٩٦٦):** شنت قوات المظليين الإسرائيلية هجوماً على قرية السموع في منطقة جبال الخليل. حيث تسللت القوات الإسرائيلية إليها ونسفت ١٢٥ منزلاً وبنية بينها المدرسة والعيادة الطبية والمسجد، وذلك رغم المقاومة الباسلة التي أبدتها سكان القرية

<sup>١</sup> Dinah Shelton, Ed.,: Encyclopedia Of Genocide And Crimes Against Humanity, p.

والحامية الأردنية صغيرة العدد. وأدّت المذبحة إلى قتل ١٨ وجرح ١٣٠ جميعهم من المدنيين بينهم نساء وأطفال وشيوخ<sup>١</sup>.

### الجرائم الإسرائيلية منذ عام ١٩٦٧ حتى الثمانينيات:

كان من الطبيعي أن تتشط آلة الجرائم الصهيونية مع عدوان ١٩٦٧ وبعده، الذي أسفر عن ضم المزيد من الأراضي المحتلة (الضفة الغربية وغزة والقطاع الشرقي من القدس) وهي ذات تركيب سكاني عربي خالص. ولتمهيد الطريق أمام الاستيطان في الضفة الغربية وقطاع غزة اختار المخطط الإسرائيلي بعناية نمط القتل الجماعي بوصفه أكثر أنواع الإرهاب دموية وأوضحها فجاجة. ولذا فإن الأيام والأسابيع القليلة التي تلت دخول القوات الإسرائيلية إلى الضفة وغزة في ٥ يونيو ١٩٦٧ شهدت سلسلة من عمليات القتل الجماعي للمدنيين دون تمييز. كما لا بد وأن يذكر مئات الأسرى والجرحى المصريين تم قتلهم ودفنهم في مقابر جماعية.

واقترنت ممارسات القتل الجماعي بإزالة قرى وأحياء بكاملها وطرد سكانها الفلسطينيين وتشريدهم بدعوى شق الطرق الأمنية للقوات الغازية. وعلى ذلك فإن المذبحة والطرّد الجماعي وهدم الديار هو أول ما واجه به جيش الاحتلال الصهيوني الفلسطينيين في الضفة وغزة في إطار السعي لتحطيم معنويات شعب بأسره ودفعه لتقبّل الهزيمة والإعداد لاقتلعه من الوطن.

ويبرز بين هذه الآليات الإرهابية الاستخدام الواسع والمكثّف لأساليب العقاب الجماعي من حظر للتجوال وفرض الحصار الأمني (الإغلاق) وهدم البيوت وغيرها. وعلى سبيل المثال فإن الفترة بين يونيو ١٩٦٧ ويونيه ١٩٨٠ شهدت قيام قوات الاحتلال بهدم ١٢٥٩ بيتاً فلسطينياً. ولقد خص مدينة القدس العربية اهتمام خاص في سياسة هدم المنازل (٥٢٥ بيتاً فلسطينياً خلال الفترة المشار إليها).

وأصبح أي مواطن فلسطيني معرّضاً للاعتقال في أي مكان وأي وقت بدون أسباب وبدون إذن قضائي. كما بات مسكن أي فلسطيني بالضفة وغزة عرضة للتفتيش دون سبب وبدون إذن مسبق. وتذهب بعض التقديرات إلى أن واحداً من بين خمسة فلسطينيين قد تعرّض للاعتقال أو السجن في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٦٧ . ١٩٨٧. وهو الأمر الذي يعكس ضراوة الصراع بين سلطة الاحتلال الاستيطاني ومقاومة الفلسطينيين له<sup>٢</sup>.

ومن أهم المذابح التي ارتكبتها المستوطنون الصهاينة منذ ١٩٦٧ حتى الآن ما يلي :

<sup>١</sup> عبد الوهاب محمد المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ١٧/٢

<sup>٢</sup> Frank Chalk And Kurt Jonasshn: The History And Sociology Of Genocide, p. ٢١

١- مذبحة صابرا وشاتيلا (١٦-١٨ سبتمبر ١٩٨٢): وقعت هذه المذبحة بمخيم صابرا وشاتيلا الفلسطيني بعد دخول القوات الإسرائيلية الغازية إلى العاصمة اللبنانية بيروت وإحكام سيطرتها على القطاع الغربي منها. وراح ضحية مذبحة صابرا وشاتيلا ١٥٠٠ شهيد من الفلسطينيين واللبنانيين العزل بينهم الأطفال والنساء. كما تركت قوات الكتائب وراءها مئات من أشباه الأحياء. كما تعرّضت بعض النساء للاغتصاب المتكرر.

٢- مذبحة الحرم الإبراهيمي (٢٥ فبراير ١٩٩٤): تعد الخليل ثاني مدينة مقدّسة في أرض فلسطين بعد القدس الشريف. وفجر يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان الموافق ٢٥ فبراير عام ١٩٩٤ سمحت القوات الإسرائيلية التي تقوم على حراسة الحرم الإبراهيمي بدخول المستوطن اليهودي المعروف بتطرفه باروخ جولدشتاين إلى الحرم الشريف وهو يحمل بندقيته الآلية وعدداً من خزائن الذخيرة المجهزة. وعلى الفور شرع في حصد المصلين داخل المسجد. وأسفرت المذبحة عن استشهاد ٦٠ فلسطينياً فضلاً عن إصابة عشرات آخرين بجراح، وذلك قبل أن يتمكن من تبقي على قيد الحياة من السيطرة عليه وقتله. ومع ذلك فإن تعامل الجنود الإسرائيليين والمستوطنين المسلحين مع ردود الفعل التلقائية الفورية إزاء المذبحة التي تمثلت في المظاهرات الفلسطينية اتسمت باستخدام الرصاص الحي بشكل مكثّف، وفي غضون أقل من ٢٤ ساعة على المذبحة سقط ٥٣ شهيداً فلسطينياً أيضاً في مناطق متفرقة ومنها الخليل نفسها.

٣- جرائم ضد الانتفاضة: مع اندلاع انتفاضة الشعب الفلسطيني في ديسمبر ١٩٨٧ أصبحت سلطات الاحتلال الإسرائيلي في مواجهة يومية مع حركة عصيان مدني تمتد جغرافياً بمسافة الضفة الغربية وقطاع غزة وتتخذ من الحجارة والعلم الفلسطيني رموزاً لمقاومة الاستعمار الاستيطاني الإحلالي الذي استهدف محو الوجود العربي الفلسطيني. ولقد لجأت سلطات الاحتلال إلى تكثيف آليات العقاب الجماعي من حظر تجوّل وحصار أمني للبيوت فضلاً عن التوسع في الاعتقالات وأحكام السجن والتعذيب والطرد والإبعاد. لكن الجهود الإسرائيلية لتطوير آلة الإرهاب اتجهت أساساً إلى كيفية قمع حركة الاحتجاج اليومي الجماهيري في شوارع المدن والقرى ومخيمات اللاجئين. ولجأت سلطات الاحتلال للرصاص الحي والرصاص البلاستيكي والرصاص المطاطي. وقد بدأت في أغسطس عام ١٩٨٨ في استخدام ذخيرة جديدة تمزج بين المطاط والمعدن وهو ما أسفر عن استشهاد ٤٧ فلسطينياً في الخمسة شهور الأولى من استخدام هذه الذخيرة. وفي العام نفسه (١٩٨٨) لجأت السلطات الإسرائيلية إلى طائرات الهليكوبتر بتوسّع لمطاردة المتظاهرين وإطلاق النار عليهم. ثم توسع جيش الاحتلال في استخدام قنابل الغاز المسيل للدموع على نحو غير مسبوق وهو ما أسفر عن حالات اختناق بين النساء والصبيّة والأطفال على نحو خاص. ثم

استخدمت سلطات الاحتلال قنابل غازية تدخل في نطاق أدوات الحرب الكيماوية تحتوي على مكونات كيماوية تفضي إلى الاختناق والموت. ولمعاونة الجنود الإسرائيليين في مهمة القمع البدائي البربري تم إنتاج هراوة من ألياف زجاجية ومعدنية لتحل محل الهراوات الخشبية<sup>١</sup>.

وقد قامت الدولة الصهيونية برفع عدد جنود جيشها في الضفة وغزة بما يزيد عن خمس مرات مقارنةً بالفترة السابقة على الانتفاضة. وبالمقابل فإن ظاهرة محاكمة الجنود والضباط الذين يرفضون أو يتهربون من الخدمة هناك قد طرحت نفسها بقوة على التجمّع الصهيوني.

وتقدر حصيلة الإرهاب الصهيوني الإسرائيلي أثناء الانتفاضة (من ١٩٨٧-١٩٩١) بحوالي ألف شهيد ونحو ٩٠ ألف جريح ومصاب و ١٥ ألف معتقل فضلاً عن تدمير ونسف ١٢٢٨ منزلاً واقتلاع ١٤٠ ألف شجرة من الحقول والمزارع الفلسطينية.

### الخاتمة

نخلص في نهاية الدراسة إلى النتائج التالية:

- تتمثل جريمة الإبادة الجماعية في إبادة جماعات إنسانية كلياً أو جزئياً بسبب طبيعتهم الوطنية، أو العرقية، أو الدينية. وقد ارتكب اليهود في فلسطين كل أنواع الإبادة الجماعية والتي تتمثل في: الإبادة الجسدية الإبادة البيولوجية والإبادة الثقافية، والإبادة المعنوية.
- من السمات الأساسية لجرائم الإبادة في فلسطين تكوين المنظمات الإرهابية الصهيونية التي تتخذ طابعاً تنظيمياً مستقلاً عن جهاز الدولة للقيام بقتل الأشخاص بصورة منتقاة.
- اشترك أغلب القادة الإسرائيليين في تنفيذ عمليات الإبادة الجماعية سواء حينما تولوا مناصبهم أو قبل ذلك.
- وجدت المنظمات الصهيونية سنوات الحربين العالميتين فرصة لتطوير نفوذها وتقوية هيكلها وتسليحها تمهيداً للانطلاق عند انتهاء الحرب.
- اقترنت ممارسات القتل الجماعي بإزالة قرى وأحياء بكاملها وطرد سكانها الفلسطينيين.
- مع اندلاع انتفاضة الشعب الفلسطيني في ديسمبر ١٩٨٧ لجأت سلطات الاحتلال للرصاص الحي والبلاستيكي والمطاطي. كما استخدمت ذخيرة جديدة تمزج بين المطاط والمعدن ، ثم استخدمت قنابل غازية تدخل في نطاق أدوات الحرب الكيماوية.

**ومن ثم توصي الدراسة بما يلي:**

---

<sup>١</sup> إسماعيل الأشقر، ومؤمن بسيسو: دراسة توثيقية للقتلى والجرحى الصهاينة خلال انتفاضة الأقصى ، ص ٤٤

. عمل موسوعة للجرائم اليهودية في فلسطين تشتمل علي التوثيق الدقيق لكل مذبحه على حدة، مع الخرائط التفصيلية والتوثيق الشفوي لشهود العيان الذين ما زالوا على قيد الحياة، وجمع الآثار والأدلة التي ما زالت باقية؛ وذكر المراجع والمصادر من السجلات الرسمية للفلسطينيين وغيرهم.

. السعي الحثيث لتفعيل معاقبة الأفراد والجماعات والنظام أمام المحاكم الدولية، أسوة ببقية جرائم الإبادة التي تدخلت فيها محكمة العدل الدولية.

### المراجع

إسماعيل الأشقر، ومؤمن بسيسو: دراسة توثيقية للقتلى والجرحى الصهاينة خلال انتفاضة الأقصى ٢٨/٩/٢٠٠٠-٣١/١٢/٢٠٠٤، المركز العربي للبحوث والدراسات، غزة، ٢٠٠٥.

حسن الجوني: جريمة إبادة الأجناس في ضوء المحكمة الجنائية الدولية، بحث مقدم إلى ندوة المحكمة الجنائية الدولية (تحدي الحصانة)، دمشق، تشرين الأول ٢٠٠١.

سمعان بطرس فرج الله: الجرائم ضد الإنسانية وإبادة الجنس وجرائم الحرب وتطور مفهومها، بحث مقدم إلى المؤتمر الإقليمي العربي بمناسبة الاحتفال باليوبيل الذهبي لاتفاقيات جنيف للقانون الدولي الإنساني، القاهرة، تشرين الثاني ١٩٩٩.

عبد العظيم أحمد عبد العظيم: التخطيط اللغوي لتأصيل الهوية العبرية في فلسطين - دراسة في جغرافية اللغات، المؤتمر السنوي الأول للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة - قطر، مارس ٢٠١٢.

عبد العظيم أحمد عبد العظيم: الجغرافيا السياسية، ط٣، مكتبة الإسرائ، الإسكندرية، ٢٠١٠.

عبد الواحد محمد الفار: الجرائم الدولية وسلطة العقاب عليها، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٥  
عبد الوهاب محمد المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩م.

محمد رفعت الإمام: إبادة الجنس البشري.. دراسة وثائقية في الأعمال التحضيرية لاتفاقية الإبادة ١٩٤٦-١٩٤٨، بدون دار نشر، القاهرة، ٢٠٠٧.

محمد ماهر عبد الواحد: جريمة الإبادة، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر الحادي عشر للجمعية المصرية للقانون الجنائي، القاهرة، ٢٠، ٢١ مايو ٢٠٠٣.

محمود خليل أبو دف: انتهاك حقوق الطفل الفلسطيني وتهديد أمنه النفسي والاجتماعي من خلال ممارسات الاحتلال، مؤتمر حقوق الطفل الفلسطيني، بيروت، مايو ٢٠٠٧م

**Adam Jones, Ed.,** New Directions In Genocide Research. London: Rutledge, ٢٠١١.

**Dinah Shelton,** Ed.,: Encyclopedia Of Genocide And Crimes Against Humanity (٣ Vols), Detroit, M١: Macmillan Reference, ٢٠٠٥.

**Frank Chalk And Kurt Jonasshn:** The History And Sociology Of Genocide. New Haven, Ct: Yale University Press, ١٩٩٠.

**Leo Kuper:** International Action Against Genocide, Minority Rights Group, London, ١٩٨٤.

**Michael Mann,** The Dark Side Of Democracy; Explaining Ethnic Cleansing. Cambridge: Cambridge University Press, ٢٠٠٥.

**Totten,S., Parsons, W., Charny, I.,** "Editors": Century Of Genocide, Second Edition, Rutledge, New York, London, ٢٠٠٤.